يزدرونني ويهزأون من ابن القدس هذا الذي يرتدي القفطان . ولكنهم لم يكرهوني ولم يؤذوني ، ولذلك كنت انضم اليهم ، صبي يرافق أقرانه الصبيان ، فكنا نسرح سيرا على الاقدام لزيارة بعض المعابد ، وبعض الاماكن المقدسة ، مقدسة لدى اليهود ، مقدسة لدى المسلمين ، مقدسة لدى المسيحيين . وافكر انه كان هنالك حي للعرب المسيحيين في القدس حيث لم يكن التجوال فيه مأمونا لليهودي، وكنت ابتعد عنه دائما . وكنت في القدس احيانا أذهب لشراء الحاجيات من سوق الجزارين الحلال في الشريعة اليهودية (كشير) ، وما زلت اذكر أنه الى اليمين كان يوجد سوق الجزارين هذا ، اما الى اليسار فكان يوجد حي النصارى ، ومرة ، مرة واحدة فقط اخطأت خطأ جسيما ، اذ وجدت نفسي قد عبرت قليلا الى داخل حي النصارى ، وربما كانت اوجاع القلب التي اعاني منها اليوم ترجع في الاصل الى تلك الواقعة ، وانا أسعى مذعورا للخروج من حي النصارى ، ولكن العرب كانوا ودودين ، مهذبين ، لطفاء وانسانيين .

وخلال الصيف ، كنت اذهب الى « رحوبوت » حيث يوجد الان المعهد الشهير — معهد وايزمن — لاكل العنب ، اذ كان جدي وجدتي يرسلونني الى بيت ابنهم ، عمي هناك ، وكنت آكل من العنب حتى يصيبني الاعياء من كثرة الاكل ، ومن يدري فربما كان مفيدا لي ، وكذلك كنت آكل البطيخ ، فأكتفي بأكل قلبه وأرمي ما عداه . وفي بداية اقامتي في « رحوبوت » ، كان ينقلني احد العرب الى الرملة، الرملة العربية التي لم يعش فيها اي يهودي ، وكان ينقلني الى هناك بالعربة الحنطور واحد من العرب الكثيرين الذين كانوا يعملون في خدمة عمي، وكنت في الرملة انتظر القطار ، خارج المحطة أو داخلها ، وهو قطار كان يصل حوالي الساعة الثالثة بعد الظهر من يافا فيتوقف في الرملة ليحمل الركاب الى القدس حيث أعود الى بيت جدي . فما من مرة تحرش بي احد او ضايقني ، ولم أر ما يشعرني بالخوف ، ولم اشعر بأنني غريب . وبالمناسبة ، كنت اتكلم اللغة العربية بطلاقة ولذلك كان حريا بي ان اتعلم قراءة اللغة العربية وكتابتها في الجمنازيوم — ولكن هذه قصة اخرى ...

ان المتعة الحقيقية ، المتعة الكاملة ، المتعة المطلقة التي شعرت بها في ايام طفولتي في القدس كانت في ايام عيد الفصح السبعة ، ويدعى بالعبرانية « بيسح » ، ليس في اليوم الاول من ايام عيدالفصح لان ذلك هو يوم مقدس وحرام على اليهودي ان يركب حمارا في ذلك اليوم . ولكن خلال الايام الثلاثة او الاربعة التالية كنا نستأجر من العرب بعض الحمير ونركبها الى الجبال خارج القدس الى مستعمرة موتسا .

ليتني اتذكر اسم ذلك اليهودي الذي كنا نتناول عنده وجبة الافطار المبكر ، فكان يطعمنا فواكه وشوكولاته ، اذ كان له دكان على الطريق ، وظلت علاقاته بالعرب على احسن ما يرام طوال حياته الى ان حدثت اصطدامات ١٩٤٧ و ١٩٤٨ و ١٩٤٩ « انني اكاد اتذكر اسمه مستر روزمان او روزين او ما الى ذلك) ، عندما اغتيل . وكان دكانه غير بعيد عن القدس .

وحتى في الايام الاولى ، أخذت تظهر بوادر نزعة حربية وشهوة الى القتال بين اليهود ، فكانت الخطوات الاولية : « لا تعاملوا طبيب أسنان عربي » ، « لا تشتروا من تاجر عربي » ، « لا تشتروا من بقال عربي او من بائع فواكه متجول عربي » ، رغم انه لم يكن هناك عدد كاف من بائعي الفواكه المتجولين اليهود ليسدوا حاجتهم ، فكانوا يضطرون للشراء من البائعين العرب ، ولكن كان هنالك برنامج مستمر من الوعظ الفردي .

في حوزتي الان وثيقة مدهشة قدمتها الى منظمة الامم المتحدة حركة القوة الثالثة في اسرائيل ، وهي منظمة اعضاؤها من اليهود والعرب ، وكانت قد قدمتها الى اللجنة السياسية الخاصة للجمعية العمومية للامم المتحدة في شهر نوفمبر ١٩٦١ . وتروي هذه الوثيقة الرائعة قصة ابعاد العرب ، وهذا تعبير ملطف ، والاصح هو طرد العرب بقسوة من بيوتهم وديارهم .

وسوف أطو على مسامعكم هنا ثلاث فقرات تبين لكم ما حدث بعد موت هرتسل حيث كان قد بدىء شيء من العمل البناء ، ثم ما لبث ان هجر حين أخذت القومية السياسية تتأجج الى ان أدت الى صدور وعد بلفور :

١ — **غزو الارض** : كانت المؤسسات الصهيونية تشتري قطعا من الارض من كبار الملاكين الذين كان معظمهم يعيش خارج فلسطين والذين حصلوا على ملكية الاراضي هذه في ظل الحكم التركي من موظفي الدولة المرتشين ، أما المزارعون المقيمون على